رايات الإسلام

فى اليمامة

رايات الإسلام

(١)

فى اليمامة

بقلم : وصفى آل وصفى

الطبعة الثانية

رايات الإسلام

بَدأَ القرْنُ السَّابعُ الْمِيلادىُّ والْعَرَبُ فى شِبهِ الْجَزيرَةِ ضِعافٌ ومُتفرِّقُونَ ، يَطْغَى عَليهمُ الْفُرسُ بالْعِراقِ – فى الشَّرقِ . . والرُّومُ بالشَّامِ – فى الشَّمالِ . .

وَبُعِثَ الرَّسُولُ ﷺ فغيَّرَ الإسْلامُ حَيَاةَ الْعَربِ تَغْيِيراً تامًّا . .

أَمَدَّهُمْ بقُوَّةٍ حقَّقتِ الْمُعْجزَات ، وَجَمعتْهُمْ – فى ظِلِّ رَايَاتِهِ – طُمأْنِينَةٌ نَفْسيَّةٌ تنبعُ مِنْ سَمَاحَتِهِ . . وَحماسَة بُطُولِيَّة تَبْعَثُها فِيهِمْ أَهْدَافهُ الْعَظِيمَةُ . .

وَكانَتْ « مَكَّةُ » الْمدِينَة الأُولَى فى شِبْهِ الْجَزيرَةِ الَّتِى تَمْتدُّ حَوَالىْ أَلْفِ كِيلُو مِترٍ مِنَ الشَّرقِ إلى الْغَربِ . . وما يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ ، لَكِنَّ هِجْرَةَ الرسُولِ ﷺ نَقَلتْ مَقَرَّ الْقِيَادَةِ الإِسْلاَمِيةِ إِلَى « يَثْربَ » الَّتِى أَصْبَحتْ تُعْرفُ بِاسْمِ « الْمَدِينَة » . .

وَتُوفِّىَ الرَّسُولُ فى العَامِ الْحَادِى عَشَرَ الْهجْرِىِّ – السَنَةِ ٦٣٢ الْمِيلادِيَّةِ – فَتَتَابعَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بالْمَدِينَةِ ، ومِنْهَا خَرجَتْ راياتُ الإسلامِ لتُوحِّدَ شِبه الجَزِيرةِ العَربيّةَ ، ثُمَّ انْطَلَقتْ إلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ . . تُبَشِّرُ الشُّعُوبَ بالتَّحْرِيرِ وَتَزُفُّ إلَيْها الْعَدْلَ وَالْحريَّةَ . . وَتَصْحبُ الْمُؤْمِنينَ فى مَعارِكَ خَالِدَةٍ مَا تَزَالُ أَخْبَارُها تُروى فَتُثِيرُ الإعْجَابَ لَدَى الْقَادَةِ والْجُنُودِ ، وَتَغْرِسُ الْعِزَّةَ فى نُفُوسِ النَّاشِئَةِ . .

فى اليمامة

١

فى الْعَامِ الثَّامِنِ الْهِجْرِىِّ فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ . .
وَسُرْعَانَ مَادَخَلَ الْعَرَبُ فى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً وَانْتشَرَ الإِسْلاَمُ فى شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، مِنَ « الْبَحْرِ الأَحْمَرِ » إِلَى « الْخَلِيجِ الْفَارِسِىِّ » ومِنَ « الْمُحِيطِ الْهِنْدِىِّ » إِلَى حُدُودِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْفَارِسِيَّةِ والإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّة . .
لَكِنَّ الْوَحْدَةَ الَّتِى عَرَفَها الْعَرَبُ لأَوَّلِ مَرَّةٍ فى ظِلِّ الإِسْلاَمِ لَمْ تَلْبَث أَنِ اهْتَزَّتْ ، عِنْدَمَا ادَّعَى النُّبُوَّةَ « مُسَيْلَمةُ الْكَذَّابُ » . . وَعَددٌ آخَرُ مِنَ الْكَذَّابِين !
فى الْفَتْرة الأَخِيرَةِ مِنْ حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ ادَّعَى هؤُلاَءِ الْكذَّابُونَ النُّبوَّة . .
كَيْف ؟

نَظَرُوا إِلَى مَا جَاءَ الرَّسُولَ مِنْ نَصْرٍ فَطَمِعُوا فى أَنْ يَفُوزُوا هُمْ أَيْضاً بِالنُّفوذِ الْوَاسِعِ وَالسُّلْطَانِ الْعَظِيمِ ، وَوَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَدَّعُوا النُّبُوَّةَ لِيَكُونُوا كَالرَّسُولِ : كَلِمَتُهمْ مَسْمُوعَةٌ وأَمْرُهمْ مُطَاعٌ . .

طَمِعُوا فى السَّيْطَرَةِ عَلَى النَّاسِ لِيُشْبِعُوا رَغَباتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةَ ، وَنَسُوا أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ يُؤَيِّدُ بِهِ رَسُولَهُ الصَّادِقَ الأَمِينَ . . والْمُؤْمِنِين . .

غَرَّهُم بُعْدُهُمْ عَنِ الْمَدِينَةِ حَيْثُ يُقِيمُ الرَّسُولُ ﷺ ، فَقَدْ ظَهَرُوا جَمِيعاً فى أَرْضِ « الْيَمَنِ » و « الْيَمَامَةِ* » . . ومَنَازِلِ « بَنِى أَسَد » . .

وَغَرَّهُمْ تَعَصُّبُ الْقَبائِلِ وَكَثْرَةُ الأَعْوَان . .

كَانَتِ الْقَبائِلُ فى الْيَمَنِ . . والْيَمامةِ . . ومَنَازِلِ بَنِى أَسَدٍ . . حَدِيثَةَ الْعَهْدِ بالإِسْلَامِ ، فَتَغَلَّبَ التَّعَصُّبُ لِلْقَبِيلَة وزُعمَائِهَا ، الرَّاسِخُ فى النُّفُوسِ مِنْ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّة ، عَلَى

---

* اليمامة : من بلاد نجد بالغرب من البحرين وعاصمتها حجر ، وسميت باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم وفتحها خالد بن الوليد فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى سنة ١٢ للهجره وقُتِل فى هذه المعركة مُسيْلمة الكذّاب

الإِيمَانِ باللهِ وَرَسُولِهِ . .

لَمْ يَكُن الإِيمَانُ قَدِ استَقَرَّ بَعْدُ فى قُلُوبِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِنْ أَبْنَاءِ تِلْكَ الْقَبائِلِ ، فَتبِعَتْ أَنْبيَاءَهَا الكَذَّابِينَ وارْتَدَّتْ عَنِ الإِسْلاَمِ . .

وَخَفَّفَ الأَنْبِيَاءُ الْكَذَّابُونَ بَعْضَ الْفُرُوضِ الدِّينيَّةِ فَكَثُرَ الْمُلْتفُّونَ حَوْلهُمْ . .

قَالُوا لأَتْباعِهِمْ . . مَثلاً : إِنَّه لاَ دَاعِيَ لِلسُّجُودِ فى الصَّلاَةِ !

وَقَالُوا لَهُمْ : إِنَّهُ لاَ دَاعِيَ لِدَفْعِ الزَّكَاةِ !

وَالنَّاسُ ميَّالُونَ بِطَبْعِهِمْ إِلَى التَّخلُّصِ مِنَ الفُرُوضِ ، والإِيمَانُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِى يُحبِّبُ إِلَيْهِمُ الْحِرصَ عَلَى أَدائِهَا . .

والإِيمَانُ لَمْ يَكُنْ قَدِ استَقرَّ بَعْدُ فِى قُلُوبِ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ مِنْ أَبْناءِ الْقَبَائِلِ المُرْتدَّة . .

وَلَمْ يَخْلُ الأَمْرُ مِنْ دَسَائِسَ أَجْنَبيَّة !

فَإِنَّ « كِسْرَى » الفُرْسِ ، و « قَيْصَرَ » الرُّومِ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ مَصْلَحَةِ أَحَدِهِمَا أَنْ تَقُومَ عَلَى حُدُودِ دَوْلَتِهِ ، دَوْلةٌ عَرَبيَّةٌ

مُتَّحِدَةٌ . . تَدِينُ بِدِينٍ جَدِيدٍ يَدْعُو لِعِبَادَةِ اللهِ الْوَاحِدِ الَّذِى لاَ شَرِيكَ لَهُ . . وَيَدْعُو لِلْمُسَاوَاةِ . . وَيَجْعَلُ لِلفُقَرَاءِ حَقًّا مَعْلُوماً فى أَمْوالِ الأَغْنِيَاءِ . .

كَانتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُتحِدَةُ خَطَراً على الإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الفَارِسيَّةِ والإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومانِيَّةِ ، كِلْتَيْهِمَا ، يُهَدِّدُ بِتَحرِيرِ العِرَاقِ مِنَ اسْتِبْدادِ الفُرْسِ وتَخْلِيصِ الشَّامِ مِنْ طُغْيَانِ الرُّومِ . .

وَلَمْ يَخْلُ الأَمْرُ أَيضاً مِنْ دَسَائِسَ يَقُومُ بِها يَهُودُ الْمَدِينَة الَّذِينَ أَجْلاَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ عَنْها ، بَعْدَ أَنْ تكَرَّر غَدْرُهُمْ وَتكَرَّرتْ خِيَانَاتُهمْ . .

وفى الْعَامِ الحَادِى عَشَرَ الْهِجْرِى تُوُفِّى الرَّسُولُ ﷺ ، فَظَنَّ الْكَذَّابُونَ الفُرصَةَ سَانِحَةً لِتَحْقِيقِ مَطَامِعِهِمْ . . وَأَشَاعُوا الْفِتْنَة فى الدَّوْلَة الْعَربِيَّةِ النَّاشِئَةِ . . وَتَسَبَّبُوا فى « حُرُوبِ الرِّدَّةِ » !

٢

تَوَلَّى . . « أَبُو بَكْرٍ الصِّديقُ » الْخِلافَةَ ، بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ فإذَا فِتْنةُ الرِّدَّةِ الَّتِى أَشْعَلهَا مُدَّعُو النُّبُوةِ فى الْيمنِ . . وَالْيَمَامَةِ . . وَمنازِلِ بَنِى أَسدٍ . . تُهَدِّدُ الْمُجتَمعَ الإِسْلامِىَّ النَّاشِئَ . .

وإِذَا الْقَبائِلُ الْقَرِيبَةُ مِنَ الْمَدِينَةِ تَخْرجُ هِيَ الأُخْرَى عَلَى الْوَحْدةِ الإِسْلَامِيَّةِ وتَمْتَنِعُ عَنْ أَدَاءِ الزَّكَاة . .

وَرَأَى بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنْ يُهَادِنَ أَبُو بَكْرٍ مَا نِعِى الزَّكَاةِ لِيَسْتَعِينَ بِهِمْ عَلَى قِتَالِ الْمُرتَدِّينَ عَنِ الإِسْلَامِ ، وَكَانَتْ حُجَّةُ الَّذِينَ يرونَ هَذَا الرَّأْىَ أَنَّ تِلْكَ الْقَبائِلَ لَمْ تَرْجعْ عَنْ إِيمَانِهَا باللهِ وَرَسُولِهِ وأَنَّ خطَأَهَا الْوَحِيدَ هُوَ رَغْبَتُها فِى التَّخلُّص من عِبْءِ الزَّكَاة . لَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَضْعُفْ وَلَمْ يَتَهاوَنْ ، وصَمَّمْ عَلَى أَنْ يُؤَدِّىَ جَمِيعُ الْمُسلِمِينَ الزَّكَاةَ كَمَا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ . .

وَكَانَ جَيْشُ « أُسَامَةَ » مَايَزالُ مُقِيماً بالْمَدينَةِ لَمْ يأْخُذ طَرِيقَهُ إِلَى الشَّامِ بَعْدُ ، فَطَلبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُؤَجِّل بَعْثَهُ لِيَكُونَ قُوَّةً تُعِينُ الْمُسْلِمِينَ فى صِرَاعِهِمْ مَعَ مَانِعِى الزَّكَاةِ وقِتَالِ الْمُرتدِّين . .

كَمَا طَلَبَ آخَرُونَ أَنْ يُوَلِّى عَلَى الْجَيْشِ رَجُلاً غَيْرَ أُسَامَةَ ، يَكُونُ أَكْبَرَ سِنًّا وَأَكْثَرَ خِبْرَة . . إِلاَّ أَنَّ الْخَلِيفَةَ رَفَضَ الْمَطْلَبَيْن . .

وَلِبَعْثِ أُسَامَةَ قِصَّة . . .

كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ وَجَّه قُوَّةً صَغِيرَةً إِلَى حُدُودِ الشَّامِ ، لِتَأْدِيبِ فَرِيقٍ مِنَ الْعَرَبِ حُلَفَاءِ الرُّومِ . . اعْتَدوْا عَلَى عَدَدٍ مِنَ الْمُسلِمِينَ الْمُسالِمِينَ وَقَتَلُوهُمْ . وَجَعَلَ قِيَادَةَ هَذِهِ الْقُوَّةِ لِوالِدِ أُسَامَةَ . . « زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ » ، يَخْلُفهُ إِنِ اسْتُشْهِدَ « جَعْفرُ بْنُ أَبِى طَالِبٍ » . . فَإِن اسْتُشهِدَ جَعْفر خَلَفَهُ « عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ » . .

وَعِنْدَ « مُؤْتَةَ » فُوجِئَ الْمُسْلِمُونَ بِقُوَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الأَعْداءِ ، فَصَمدُوا لَهَا . . وقَاتَلُوا قِتَالَ الْمُؤْمِنِينَ . . إِلَى أَنِ اسْتُشْهِدَ

الْقُوَّادُ الثَّلاثَةُ : زَيْدٌ فَجعفَر . . فَابْنُ رَوَاحَة . .

وَأَرادَ الرَّسُولُ أَنْ يَحْمِى شِبْه الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّة فَسَارَ بِنَفْسِهِ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى « تَبُوكَ » سَنَةَ تِسْع لِلْهِجْرَةِ ، يَقُودُ جَيْشاً عَظِيماً أَرْهبَ الأَعْدَاءَ وَأَرْغَمهُمْ عَلَى الانْسِحَابِ إِلَى مَا وَرَاء الحُدُود . ثُمَّ أَعدَّ ﷺ جَيْشاً ثَانِياً كَبِيراً لِيَسِيرَ إِلَى مُؤْتَةَ فَيَثْأَرَ لِلأَبْطَالِ الثَّلاثة وإِخْوانِهِمْ ، وَوَلَّى عَلَى هَذَا الجَيْش « أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ » وَهُوَ فى الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِه . . لِيَشْرُفَ المُسْلِمُونَ بِانْتِصارِ الابْنِ كَمَا شَرُفُوا بِاسْتِشْهادِ أَبِيهِ . . وَلِيَتعَوَّد الشَّبابُ تَحَمُّلَ المَسْئُولِيَّةِ وَالقِيَامَ بِأَعْباءِ القِيَادَة . .

وَبَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ أَصَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَسِيرَ أُسَامَةُ إِلَى حَيْثُ بَعَثَهُ ﷺ فَأَثَّر ذَلِكَ فى كَثِيرٍ مِنَ القَبَائِلِ المُعَادِيَةِ الَّتِى مَرَّ بِهَا فى طَرِيقِه إِلَى الشَّمَالِ وَرَدَّها عَنْ مُهاجَمَةِ المَدِينَةِ . شَاهَدَ هَؤُلاءِ الْجَيْشَ الكَبِيرَ الَّذِى يُغَادِرُ المَدِينَةَ ، والْفِتْنَةُ مُشْتَعِلَةٌ قَرِيباً وبَعِيداً ، فَاسْتَنْتَجُوا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَقْوِياءُ وَعَلَى اسْتِعدَادٍ عَظِيم . .

وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْماً عَادَ جَيْشُ أُسَامَةَ مُنْتَصِراً ، وَدَخَلَ أُسَامَةُ الْمَدِينَةَ مُمْتَطِياً جَوَادَ أَبِيهِ الَّذِى اسْتُشْهِدَ وَ هُوَ يُقَاتِلُ مِنْ فَوْقِهِ !

٣

لَمْ يَكَدْ جَيْشُ أُسَامَةَ يَبْتَعِدُ فِى طَرِيقِهِ إِلَى الْحُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ لِلرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَدِينَ ، حَتَّى تَحَرَّكَتِ الْقَبَائِلُ الْقَرِيبَةُ مِنَ الْمَدِينَة تُرِيدُ غَزْوَهَا !

فَفِى الْمَدِينَةِ يُصِرُّ خَلِيفَةُ الرَّسُولِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَلَى جَمْعِ الزَّكَاةِ مِنَ الْجَمِيعِ ، وَمَا مِنْ وَسِيلَةٍ لإِرْجَاعِهِ عَنْ رَأْيِهِ سِوَى غَزْوِ الْمَدِينَة !

زَحَفَتْ جُمُوعُ تِلْكَ الْقَبَائِلِ لَيْلاً فَخَرَجَ الْمُسلِمُون عَلَى الإِبِل لِصَدِّهِمْ . .

وَكَانَ بَعْضُ الْعُصَاةِ يَحْمِلونَ قِرَباً مِن الْجِلْدِ نَفَخُوها ورَبَطُوهَا بالْحِبَالِ ، فَلَمْا الْتَقَى الْجَمْعَان ضَرَبُوهَا بِأَقْدَامِهِمْ فى وُجُوهِ الإِبلِ الَّتِي يَرْكَبُها الْمُسْلِمُون . وَأَفْزَعَ ذَلِكَ إِبلَ الْمُسْلِمِينَ ، فَنَفرتْ بِهِمْ عَائِدَةً إِلَى الْمَدِينَة !

وَقَعَ ذَلِكَ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَبَاتَ العُصَاةُ يَحْسِبُونَ النَّصر حَلِيفَهُم . .

أَمَّا أَبو بَكْرٍ فَلَم تَفْتُر هِمَّته ، وبَاتَ يُعِدُّ أَهْلَ المَدِينَةِ لِلْكَرِّ عَلَى مَانِعِى الزَّكَاة . وَقُبَيْلَ الْفَجرِ خَرَجَ يَتَقَدَّمُ المُؤْمِنينَ مَشْياً ، يَقُودُهُمْ مُسْرِعاً إِلَى مُعَسْكَرِ القَبَائِلِ المُعادِيَة وَكَانَتِ المُفَاجَأةُ تَامَّةً فَلَمْ يَتَمَكَّنْ هؤُلاَءِ مِنَ المُقَاومَةِ وتَفرَّقُوا مُنْهزِمِين !

وَسُرْعانَ مَا اسْتَتبَّ الأَمرُ حَوْلَ المَدِينَةِ ، وخَضَعَتِ القَبَائِلُ الثَّائِرَةُ وأَطَاعتْ . . وأَوْفَدتْ رِجَالَها يَحْمِلُون الزَّكَاةَ إِلَى خَلِيفَةِ الرَّسُولِ ﷺ فى الْمَدِينَةِ . وزَادتْ عَوْدةُ أُسَامةَ مُنْتَصِراً مِنْ قُوَّةِ المُسْلِمينَ ، فَبَدأَ أَبو بَكْرٍ يُوجِّه الجُيُوشَ لِلقَضَاءِ عَلَى المُرْتدِّينَ واختَارَ «خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ» لِيُقاتِلَ بَنِى أَسدٍ ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَى الْيمَامَة .

كَانَ بِالْيَمَامَةِ أَقْوى القَبَائِلِ المُرْتَدَّةِ ، وأَخْطَرُ مَنِ ادَّعَى النُّبوَّةَ : «مُسَيْلمةُ بْنُ حَبِيبٍ» الَّذِى أَطْلَق عَلَيْهِ الرَّسُولُ اسْم مُسَيلمةِ الكَذَّابِ . . فَبَعثَ إِلَيْهَا أَبو بَكْرٍ «سَيْفَ اللهِ» «خَالِدَ ابْنَ الوَلِيد» . .

وَكَانَ خَالِدٌ قَبْلَ إِسْلاَمِهِ فَارِساً لاَ يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ ، وَقَائِداً

يُحْسَبُ لَهُ كُلُّ حِسَاب !

فى مَوْقِعَة « أُحُدٍ » قَادَ فُرْسَانَ «قُرَيْشٍ» ، واسْتَغَلَّ الفُرْصَةَ عِنْدَما خَالَفَ رُمَاةُ الْمُسْلِمينَ أَمْرَ الرَّسُولِ وَتركُوا مَوَاقِعهُمْ لِيَفُوزُوا بِالْغَنائِمِ مِنَ المُشْرِكِينَ المُنهزِمِينَ . . عِنْدئِذٍ أَسْرَعَ خَالِدٌ يَدُورُ بِفُرسَانِهِ مِنْ وَرَاءِ المُسْلِمينَ وَهَاجَمَهُم هُجوماً مَالَ بِكفَّة النَّصْر إِلَى جَانِبِ قُرَيْش !

وَفى مَوْقِعَةِ « الخَنْدقِ » أَوْشَكَ أَنْ يَنْجحَ مرَّة ثَانِيَةً فى مُفَاجَأَةِ المُسْلِمين !

فى الْعَامِ الثَّامِنِ لِلْهِجْرةِ أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ ، وبَعْدَ أَشْهُرٍ خَرَجَ مُجَاهِداً فى جَيْشِ المُسْلِمينَ السَّائِرِ إِلى مُؤْتَةَ . لَمْ يُوَلِّهِ الرَّسُولُ القِيادَةَ ، فَقَدْ كَانَ بِالجَيْشِ عَدَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ سَبَقُوهُ إِلى الإِسْلَامِ . وعِنْدَ مُؤْتَةَ دَارَ القِتَالُ بَيْنَ المُسْلِمينَ وقُوَّاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الأَعْدَاءِ واسْتُشْهِدَ القُوَّادُ الثَّلاثَةُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وجَعْفَرُ بنُ أَبِى طَالبٍ وعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ . . وهُمُ القُوَّادُ الَّذِينَ عَيَّنَهُمْ الرَّسُولُ ﷺ . .

واحْتَاجَ المُسْلِمُونَ لِقَائِدٍ يُنْقِذُ المَوْقِفَ ، فَاجْتَمعَتْ كَلِمَتُهُمْ

عَلَى اخْتِيَارِ خَالِد . . واسْتَطَاعَ خَالِدٌ أَنْ يَنْسَحِبَ بِالمُسْلِمينَ انْسِحَاباً مُشَرِّفاً . .

قَاتَلَ الرُّوم وحُلَفاءهُمْ مِنْ بَنِى غَسَّانَ إِلى المَسَاءِ ، وفى اللَّيْلِ أَبْدَلَ مَوَاقِعَ المُجَاهِدِينَ . أَخَّرَ جنُودَ المُقَدِّمَةِ وَقدَّمَ مَنْ كَانَ خَلْفَهَا ، والَّذِينَ كَانُوا فى المَيْمَنَةِ وضَعَهُمْ فى المَيْسَرَةِ والَّذِينَ كَانُوا فى المَيْسَرَةِ حَوَّلَهُمْ إِلَى المَيْمنَة . .

وأَرْسَلَ إِلَى الخَلْفِ جَمَاعَةً تُثِيرُ الغُبَارَ عِنْدَمَا يَبْدَأُ القِتَالُ ، وتَرفَعُ أَصْواتَهَا بالتَّكْبِير . . وطَلَعَ الصَّباحُ فَفُوجِئَتْ كَتَائِبُ الأَعْدَاءِ بقُوَّاتٍ مُخْتَلفةٍ تَقِفُ قُبَالَتَهَا ، وشَاهَدُوا الغُبَارَ مِنْ بَعِيدٍ وسَمِعُوا أَصْوَاتَ التَّكْبِيرِ . . فَاعْتَقدُوا أَنَّ مَدَداً كَبِيراً جَاءَ المُسْلِمينَ لَيْلاً ومَازَالَ يَصِلُ تِبَاعاً !

وَلمَّا شَرَعَ خَالِدٌ فى الانْسِحَابِ لَمْ يَتْبعُوهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُونَ قَدْ أَعدُّوا لَهُمْ كَمِيناً ! ونَجَا خَالِدٌ بِالمُجَاهِدِينَ عَائِداً إِلَى المَدِينةِ ، ومُنْذُ ذَلِكَ اليَوْمِ حَمَلَ اللَّقَبَ العَظِيمَ : « سَيْفَ اللهِ » . . بَعْدَ أَنْ دَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ قَائِلاً : « اللَّهُمَّ إِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَأَنْتَ تَنْصُرُه ! » . .

٤

انْتَظَرَ أَبو بَكْرٍ إِلَى أَنِ اسْتَراحَ جَيْشُ أُسَامَةَ ، ثُمَّ أَعَدَّ إِحْدَى عَشْرَةَ فِرقَة مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ حَدَّدَ لِكلٍّ مِنْها مَكَاناً تَقْصِدُهُ لِتُقاتِلَ المُرْتَدِّينَ بِهِ . . وجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ عَلَى رَأْسِ الفِرْقَةِ الأُولَى الَّتِى وجَّهَهَا إِلَى مَنَازِلِ بَنِى أَسَد . .

وقَبْلَ أَنْ تَسِيرَ الفِرَقُ الإِحْدَى عَشْرَةَ إلى غَايَاتِها أَذَاعَ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ القَبائِلِ كِتَاباً دَعَا فِيهِ العُصَاةَ إِلَى الرُّجُوعِ عَنِ الفِتْنَةِ ، وحَذَّرَهُم مِنْ عَاقِبَةِ الإِصْرَارِ عَلَى الخَطَأ . .

بَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوةِ السِّلْمِيَّةِ انْطَلَقَ المُجَاهِدُونَ لِمُعاقَبَةِ الَّذِينَ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهَا ، فَسَارَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ بِجُنُودِهِ إِلى حَيْثُ اجْتَمَعَ بَنُو أَسَدٍ وحُلَفَاؤهُمْ حَوْلَ نَبِيِّهِمُ الكَذَّابِ «طُلَيْحَةَ بْنِ خُوَيْلِد الأَسَدِى» . .

وبَدَأَ القِتَالُ لَمْ يَبْرُزْ طُلَيْحَةُ لِيَكُونَ عَلَى رَأْسِ جُنُودِهِ ، بَلْ أَقَامَ فى خَيْمَتِهِ مُتَظَاهِراً بِأَنَّهُ يَنْتَظِرُ الوَحْيَ . . وتَرَكَ قِيَادَةَ أَتْبَاعِهِ

لِوَاحِدٍ مِنْ رِجَالِه . فَلَمَّا هَجَمَ المُسْلِمُونَ مُكَبِّرِينَ ، وأَحَسَّ قَائِدُ المُرْتَدِّينَ خُطُورَةَ المَوْقِفِ . . أَسْرَعَ إِلَى خَيْمَةِ طُلَيحَةَ . . يَسْأَلُهُ :

– هَلْ جَاءَكَ جِبْرِيلُ . . بِالوَحْي ؟

قَالَ طُلَيحَةُ وهُوَ يَلْتَفُّ بِرِدَائِهِ :

– لاَ . .

رَجَعَ القَائِدُ لِلْمَيْدانِ يُقَاتِلُ . فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِ وعَلَى رِجَالِهِ الأَمْرُ . . ولَمسَ قُوَّةَ خَالِدٍ والمسْلِمينَ عَادَ إِلَى طُلَيْحَةَ يَسْتَعْجِلُهُ قَائِلاً :

– أَلَمْ يَأْتِكَ جِبْرِيلُ بَعْد ؟

قَالَ طُلَيحَةُ :

– لا واللهِ . .

رَدَّ القَائِدُ وقَدِ اسْتَوْلَى عَلَيهِ الضِّيقُ :

– وإِلَى مَتَى نَنْتَظِرُ ؟ إِنَّهمُ يَتَغَلَّبُونَ عَلَينَا !

قَالَ هَذَا وأَسْرَعَ إِلَى المَيْدَانِ ، فَإِذَا خَالِدٌ وفُرْسَانُهُ يُحِيطُونَ بِبَنِي أَسَدٍ ومَنْ مَعَهُمْ مِنَ القَبَائِلِ . .

رَكِبَهُ الفَزَعُ ولاَذَ بِخَيْمَةِ طُلَيْحَةَ مُسْتَنْجِداً ، فَلَمْ يَنْجِدهُ النَّبِىُّ الكَذَّابُ . . ولَمْ يُطَمئِنْهُ بِكَلاَمٍ مَعْقُول . .

عِنْدَئِذٍ صَاحَ الرَّجُلُ مُخَاطِباً قَومَهُ :

- انْصَرِفُوا - يَاقَوْمُ . . إِنَّهُ كَذَّاب !

وسُرْعَانَ مَاتَفَرَّقَ المُرْتَدُّون أَمَامَ سُيُوفِ المُسْلِمِين ! ومَرَّت جَمَاعَةٌ مِنَ الفَارِّينَ بِطُلَيْحَةَ فَسَأَلوهُ مَاذَا يَفْعَلُون . .

بِمَاذا يُجِيبهُمْ طُلَيْحَةُ وقَدْ وَضَحَ كَذِبُه ؟

وَثَبَ يَرْكَبُ فَرَسَهُ ويَنْدَفِعُ هَارباً وهُوَ يَقُولُ :

- مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلِى . . فَلْيَفْعَل !

عَلَى هَذَا النَّحْوِ كَانَتْ نِهَايَةُ الرِّدَّةِ فى مَنَازل بَنِى أَسَدٍ : نِهَايَةٌ مُضْحِكَة !

٥

أَحْمَدَ خَالِدُ الفِتْنَةَ الَّتِى أَشْعَلَهَا بَنُو أَسَدٍ وحُلَفَاؤُهُمْ ، ثُمَّ رَاحَ يَجْمَعُ شَمْلَ التَّائِبِينَ ويُعَاقِبُ من اعْتَدوا عَلَى المُسْلِمِينَ حَتَّى دَعَاهُ أَبُو بَكْرٍ إِلَى المَدِينَةِ لِيُكَلِّفَهُ بِالسَّيرِ إِلَى اليَمَامَةِ وقِتَالِ المُرْتَدِّينَ بِهَا . .

وكَانَ الصِّدِّيقُ قَدْ بَعَثَ « عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِى جَهْلٍ » لِقِتَالِ المُرْتَدِّينَ فِى اليَمَامَةِ وحَرِصَ عَلَى أَنْ يُعزِّزهُ فَأَرْسَلَ خَلْفَهُ « شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَة » غَيْرَ أَنَّ عِكْرِمَةَ لَمْ يَنْتَظِر كَىْ يَلْحَقَ بِهِ شُرَحْبِيلُ ومَنْ مَعَهُ ، وأَسْرَعَ بِمُهَاجَمَةِ مُسَيْلَمة . . يُرِيدُ أَنْ يَهْزِمَ النَّبِىَّ الكَذَّابَ وحْدَهُ ويَنْفَرِدَ بالفَخْرِ والمَجْد !

وفى اليَمَامَةِ كَانَ مُسَيْلمةُ يَقِفُ مُتَأَهِباً وقَدْ بَلَغَ أَتْبَاعَهُ سِتِّينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، فَلَمَّا جَاءَ عِكْرِمَةُ مُتَسَرِّعاً أَوْقَعَ المُرْتَدُّونَ بِهِ هَزِيمَةً مُنْكَرَة !

غَضِبَ أَبُو بَكْرٍ لِمَا أَصَابَ المُسْلِمِينَ نَتِيجَةً لانْدِفَاع

عِكْرِمَةَ ، فَوَجَّهَهُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ لِمنْطَقَةِ « عُمَانَ » لِيَكُونُوا مَدَداً لِلقُوَّاتِ الَّتِى تُقَاتِلُ المُرْتَدِّينَ بِهَا . . ثُمَّ بَعَثَ إِلَى اليَمَامَةِ سَيْفَ اللهِ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ . .

وسُرْعَانَ مَادَارَتْ بِأَرْضِ اليَمَامَةِ مَعْرَكَةٌ مِنْ أَخْطَرِ المَعَارِكِ الَّتِى خَاضَهَا المُسْلِمُونَ فِى شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ . .

وفى البِدَايَةِ هَجَمَ أَتْبَاعُ مُسَيْلِمَةَ هَجْمَةً شَدِيدَةً رَدَّتِ المُسْلِمِينَ إلى الوَرَاءِ !

كَانُوا يُقِيمُونَ بِدِيَارِهِم ، لَمْ يُرْهِقْهُمُ السَّفَرُ ، عَلَى حِينِ أَقْبَلَ المُسْلِمُونَ مِنَ المَدِينَةِ غَرْباً إلى اليَمَامَةِ شَرْقاً مُجْتَازِينَ مَسَافَةً طَوِيلَة . .

لَكِنَّ تَرَاجعَ المُسْلِمِينَ لَمْ يَسْتَمِر ، فَقَدْ أَنْقَذَ « خَالِدٌ » المَوْقِفَ بِعَبْقَرِيَّتِهِ . صَاحَ فى رِجَالِهِ يأْمُرهُمْ بِأَنْ تُميِّز كُلٌّ جَمَاعَةٍ نَفْسَهَا ، لِتَظْهَرَ شَجَاعَةُ الشُّجْعَانِ ويُعْرَف إِيمَانُ المُؤمِنِينَ . . وَيَنكَشِفَ الَّذِين يَضْعُفُونَ ويَنْهَزِمُون !

فَجَّرَتْ صَيْحَةُ خَالِد حَمَاسَةَ المُسْلِمِينَ أَفْرادَاً وجَمَاعَات . .

هَا هُمْ أُولاء الأَنْصَارُ يَثْبُتُونَ . وهَا هُوَ ذا قَائِدُهُمْ يُشِيرُ إِلَى المُرْتَدِّينَ ويَقُولُ :

– اللَّهُمَّ إِنِّى أَبرأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاَءِ !

ثُمَّ يُشِيرُ إِلَى المُسْلِمِينَ المُتَرَاجِعِينَ ، ويُضِيفُ :

– وأَبْرأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَؤُلاَءِ !

ويُقَاتِلُ قِتَالَ الأَبْطَالِ . . ويَنَالُ الشَّهَادَةَ . .

وهَا هُوَ ذا « زَيْدُ بْنُ الخَطَّابِ » أَخُو « عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ » يَسْأَلُهُ رِجَالٌ مِنْ جَمَاعَتِهِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِرأْيِهِ فى المَوْقِفِ . . فَيُجِيبُ عَلَى الفَوْرِ :

لاَ أَتَكَلَّمُ اليَوْمَ حَتَّى نَهْزِمُهُمْ !

ويُقَاتِلُ قِتَالَ الأَبْطَالِ إِلَى أَنْ يُسْتَشْهَدَ . .

وَيَتَقدَّمُ سَيْفُ اللهِ . . خَالِد . . يَتَقَدَّمُ رِجَالَهُ وهُوَ يُنَادِى : « وَامُحَمَّدَاه » !

يَطْلُبُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَحْمُوا ظَهْرَهُ ، وَيَتَقَدَّم .. يَشُقُّ الطرِيقَ إِلَى مُسَيْلمَةَ بِسَيْفِهِ ، ومُسَيْلمَةُ يَحْتَمِى لاَيَبْرُزُ لِقِتَالِ خَالِد . .

وَيَسْقُطُ رِجَالُ مُسَيْلمَةَ تَحْتَ ضَرَبَاتِ خَالِدٍ ، ويَقْتَربُ خَالِدُ مِنْ مُسَيْلمَةَ أَكْثَر . فَيَركَبُ الفَزَعُ نَبِىَّ اليَمَامَةِ الكَذَّابَ ويَلُوذُ بِالفِرَارِ إِلى حَدِيقَةٍ يَمْلِكُها ذَاتِ أَسْوار !

ويَلْحَقُ بِهِ أَتْبَاعُه . .

ويَمْضِى بَعْضُ الوَقْتِ والمُسْلِمُونَ يَبْحَثُونَ عَنْ مَدْخَلٍ إِلى الحَدِيقَةِ غَيْرِ مُحَصَّنٍ فَلاَ يَجِدُونَ ، ثُمَّ إِذَا بَطَلٌ مِنَ أَبْطَالِهِمُ . . اسْمُهُ «البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ» . . يُنَادِى أَصْحَابَهُ قَائِلاً :

– أَلْقُونِى عَلَيْهِمْ فى الحَدِيقَةِ !

فلمَّا أَلقَاهُ أَصْحَابُهُ عَلَى المُرتَدِّينَ قَاتَلَهُمْ حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْتَحَ بَابَ الحَدِيقَةِ . .

وفى الحَدِيقَةِ دَارَ قِتَالٌ عَنِيفٌ قُتِلَ فِيهِ عَدَدٌ كَبِيرٌ جِدًّا مِنَ المُرتَدِّينَ ، جَعَلَ المُؤَرِّخِينَ يُسَمُّونَ تِلْكَ الحَدِيقَة «حَدِيقَةَ المَوْت» !

وفِيهَا قُتِلَ مُسَيْلمَةُ الكَذَّاب !

ورَفْرفَتْ رَايَاتُ الإِسْلاَمِ عَلَى أَرْضِ اليَمَامَةِ ، ومِنْ هُنَاكَ

سَارَتْ بَعْدَ حِينٍ إلى العِرَاقِ . . والشَّامِ . . والمُجَاهِدُونَ فى سَبِيلِ اللهِ مِنْ حَوْلِهَا يُكَبِّرونَ . . يَطْلُبُونَ الجَنَّةَ . . وينْتَصِرُون !

رايات الإسلام

دار المعارف

ص
١٠٠